أطفالٌ بألواحِ الطين

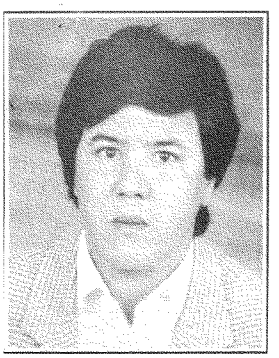

محمد بوجبيري

مِنْ قفازاتٍ رُوحيَّةٍ قُصْوى من آحراشِ نُورانيَّةٍ وَغاباتٍ مُتَّشحَةٍ بِفَجيعَةٍ.

وَ

أَنْداء.

مِنْ ينابيعَ محْجُوبةٍ منْ فِجاجِ بَوْحٍ وظِلٍّ وَارِفٍ لذاتِهِ منْ مُنْحَدَراتٍ جُوانيَّةٍ

حَدَّ

الاسْترخَاء.

مِنْ مدَاراتٍ لِمَحبَّةٍ رَخْوةٍ

حدَّ

البكَاء.

من سَماواتٍ

قَريباً يعبُرُ نَهْرُ الثُبانَة

بعيداً

إِوَزُّ أُوربَّا جهةَ الجنُوب

حُلُمٌ

في الأُفقِ

يَنْدَسُّ عَبْرَ آلْحِجَاب.

مِنْ وَاحاتٍ مُحَاذيةٍ لِحَافةِ الرُّوح من وَادي ذَاكرةِ الهَبَاء

من الصَّحْوِ الضَّارِب في الغُموض رُوَيداً

رويداً

نَزلوا

مِنْ رَحِمِ النِّسيانِ انْحدرُوا امْتَشَقُوا الضَّوءَ تمَاوَجُوا كُثْبانَ رملٍ يغْمرُهَا

المَحْوَ

وَ

المَاء.

* * *

عَلى إيقاعِ الفُصولِ الأربَعةِ غَفَوا دَهْراً لِطُمأنينةٍ خَامِسَةٍ

أُنْثَى مُشاعَةٌ وَمُقَدَّسَةٌ عَلَى جَنَباتِها اِسْتَنْبَتَتْهُمْ وَهَبَتْ

اِكْليلَ طوْقِها الفَرِيد ثَدْيَها الوَجيد الرّخو لحُمَّى ارْتِعَاشاتِ قُصْوى.

يَا

أُ

مَ

رَ

ا

ءَ الانْخِطافِ والشُّروخ الذَّبيحَة هَيِّؤوا كُوخَ الخَيْزُران من أجل اِيابٍ آخر سَآجِيءُ من جديد اَقِيمُوا صَرْحَ اللُّعبِ الطِّينِيَّةِ هذَا المَساءُ نُعَرِّجُ جِهَةَ فَانوسِ الغِوايةِ من جديد نَلوذُ بِدَهشةِ عَتَماتٍ نورَانيَّةٍ تَحتَمي بِجُميّزاتِ البِداياتِ

اَثْداءِ أُمَّهاتٍ

لَفحَتْها ريحُ هَجيرةٍ مَشَيناها.

يَا

أمراءَها!!!

اِسْتَحْضِروا اَوْثاناً مُتَفَجِّرة كَالسَّكينة

الآن

وَ

الدَّليلُ الرُّشْدُ اللَّئيمُ.

اَوْثاناً صَرَفْنَاها.

اَتَذكُرون؟!

يَا

فُحُولَ البِدايات

يا

مِهارَ التَّوقُّعات

حينَ بارَكْتُموني بطفلةٍ ضاعَ منها الآن كلُّ شيءٍ عَدا عِطرَ جَسدِها الرَّخْوِ كالحنين كُنتمُ تَرْقُصُون حين خلوتُ بِها في كوخ الخيزران والدَّفْلى نِمْنَا قليلاً جسَداً واحداً ثَمَّ رِبَاطُنا القُدْسيُّ واَقمَنَا وَليمتَنَا الخاصَّة كِرَّرْنَا تحتَ قُبَّةِ سَماواتٍ مُتَحَوِّلَةٍ ذَلِك الابْتِهاج تبادَلنا زَوْجَاتنا الهشَّة كالفراشاتِ وزَهرةِ الرُّمانِ خارجَ الوحشِ الضَّاري فينا الآن.

شَيّدوا خيمَتَها.
عَائدٌ
هذا المساء.
أطلقوا حَناجِرَكُمْ لِلصُّراخِ
مزّقوا
هذا السكونْ.
نَزُورُ نَبْعَ الماء. نشُقُّ قَناةً على حدِّ أحلامِنا الكبيرة. نقودُ الحياةَ. الحياةَ لِبطاحٍ كنّا حِجَابَها. نقودُ الصَّخْبَ لوَقَارِ الخُرُوب. نتَلَصَّصُ عَلى أجسادِ أُمهاتٍ مُشتَجِمّاتٍ في الْعراء. نُحاولُ عَبثاً تَسَلُّقَ شَجَرة الإغْواء لكن نُسْقِطُ ثِمارَهَا. نُشْعِلُ الحرائق. نَجْلُبُ الماءَ مع الآخرينَ لإطْفائِها. نُعلِنُ الحروبَ. نَتَراشَقُ بالحجارَةِ. نَعُودُ مُضَرَّجِينَ باللُّهاثِ

وَ
الدِّماءْ
دَعُوا حَقَّ الإياب
للرُّوحِ جهةَ الإغواءْ
يا
فُحُولها!
من جديد نخطُو هذا المساءْ
كلَّ الغياب
نجتازُ بجُمَّيزاتِها
وَنَحْتَمي بالكَشتناءْ.

* * *

أيَّتُها
الأمواجُ السَّادرة جِهَة الضِّفَّةِ الأخرى!!!
أيَّتُها الظِّلالُ!!!
إسْتحْضِري مَعي لَوْ مَرَّةً لَوْ... نَ تِلكَ السَّماء
إنْتِظارِي
الذي غَفَا جِهَةَ الماء.
أشْقِياءْ
أيتام التِّيهِ وَالْعَراءْ
وحْشةٌ
وامتدادُ سَاقِيةٍ
حِضْرِمُ عِصيانِ
وَعِنَبِ ذئابٍ عَصِيَّةٍ
أجساد طيرٍ
وثُعابين مَاء
سَحيقةٌ هي المواجِدُ
بعيدٌ
كالأحلام يأتي نِداء
هَسيسُ المساءِ يثْقُله صَدى حَافةِ الأزَل
وَظِلُّ السَّماء.
نَسْأَلُ الصَّهيل.
الشَّيخُ الحكيمُ لا يُجيب
وَتَمائِمُنَا خَرْسَاء
بالصُّراخِ مُتْعبينَ والسُّؤال
نَعُودُ لِلرَّحِمِ:
وَحَلْ
وَمُحَالْ.

* * *

فَصَلُوني عنِ الرَّحِم بمُدىً صَدِئَةٍ.
قَالَ سَليلُ الطِّين.
قُلْنا:
وَسَقَطْنَا في التُّراب.
صَدَأٌ
الآن وغداً زمَانُنا.
كَلَّلُونَا
بالخرافةِ عَمَّدُونا
بِهَسيسِ البَراري بصَمْتِ الحافاتِ بِالقياماتِ المُتَنَائِيةِ نَثَرونَا عَوْسَجاً للسُّفوحِ العَادِيَّاتِ ليلاً شهوةً لذاكرةٍ سَرْخسٍ صَلَبَتْهُ التَّوجُّسَات كُنَّا أبجَدِيةً قراءة مَنازِل الأفْلاكِ نَهَرُوا فينَا النَّهرَ الخافِتَ العابرَ مَدارَ السُّلالات ومَواجِدَ
الأوْلياءِ
العابرين.

* * *

غابَة نشتهي وشَحَارير.
وَ
يَأتينَا حَلزونٌ ضَرير
زَوْرقاً
وَ
تَرْشُقُنا بِالسَّرخَسِ البِحَار.